واقع التعليم بالوسط القروي ورهانات التنمية الترابية
جماعة سيدي عزوز بجهة الغرب الشراردة بني احسن نموذجا*

أحمد الغزوي
جامعة ابن طفيل، القنيطرة

BIBLID [1133-8571] 21 (2014) 9-21

Resumen: "La realidad de la enseñanza en el medio rural y la apuesta del desarrollo local. La comunidad de Sidi Azouz en la región Gharb – Chrarda – Beni Hsen (Marruecos)". El desarrollo local del medio rural en Marruecos constituye un desafío real para todos los actores que operan sobre el terreno. La enseñanza es una apuesta estratégica para lograr los objetivos del ansiado desarrollo y mejorar la situación social de los habitantes de las zonas rurales del país. ¿Cuál es la realidad de la enseñanza en el medio rural marroquí? ¿En qué medida puede contribuir al desarrollo local? A estas preguntas vamos a tratar de responder mediante un estudio de los indicadores ligados a la enseñanza en la comunidad de Sidi Azouz, situada en la región de Gharb – Chrarda – Beni Hsen.

Palabras clave: La enseñanza en Marruecos; medio rural; planificación de la enseñanza.

Abstract: "The reality of teaching in rural areas and the commitment of local development. The Community of Sidi Azouz in the region Gharb – Chrarda – Beni Hssen (Morocco)". Local rural development in Morocco constitutes a challenge for all actors operating in the field. Teaching projects should be considered a strategic commitment to achieve the desired development goals and improve the social situation of rural areas inhabitants. What is the reality of teaching in the Moroccan countryside? To what extent can it contribute to local development? We shall try in this paper to answer these questions through a study of the indicators related to education in the community of Sidi Azouz, located in the region of Gharb - Chrarda - Beni Hssen.

---

* أحمد الغزوي، دراسة ميدانية منجَزة تحت إشراف الأستاذ علي فجال، لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، سنة 2009، وتم تحيين معطيات البحث الميداني عند إعداد هذا المقال.

Key words: Teaching in Morocco; rural areas; teaching planning.

ملخص: تشكل التنمية المحلية بالوسط القروي المغربي، تحديا حقيقيا في وجه مختلف الفاعلين المتدخلين في المجال، وعليه يبقى التعليم رهانا استراتيجيا لتحقيق أهداف التنمية المنشودة وتحسين الأوضاع الاجتماعية للساكنة القروية. فما هو واقع التعليم بالوسط القروي المغربي، وما مدى مساهمته في التنمية المحلية؟ سنجيب عن هذه الأسئلة وغيرها من خلال دراسة مؤشرات الواقع التعليمي بجماعة سيدي عزوز الواقعة بجهة الغرب الشراردة بني احسن.

الكلمات المفاتيح: التعليم في المغرب، الوسط القروي، تخطيط التعليم.

يعد التعليم من القضايا التي تهتم بها جميع الدول وتوليها أهمية قصوى، نظرا لدوره في الانفتاح على العالم، وتحقيق الحراك الاجتماعي، وتحقيق العصرنة وتكريس التماسك الاجتماعي. كما تعد دراسة واقع التعليم بالوسط القروي المغربي مدخلا أساسيا لربح رهانات التنمية المحلية، والرفع من تنافسية الوسط القروي على جميع المستويات.

وعلى هذا الأساس، جعل المغرب قطاع التعليم من أهم أولوياته، خصوصا في السنوات الأخيرة، لكونه يشكل قاطرة للتنمية ودعامة أساسية لأي إنماء اقتصادي واجتماعي، وأصبحت المسألة التعليمية تحظى باهتمام من طرف الخطاب الرسمي[1]. وهكذا، تم العمل على دعم وتقوية التعليم بالوسط القروي، عبر وضع برنامج لمحاربة الأمية، وغيرها من المخططات الهادفة إلى الرفع من مستوى وجودة الخدمات التعليمية، خاصة بالأرياف، وذلك بغية تحقيق تنمية محلية واعدة، فارتفاع نسبة الأمية وتراجعت نسبة التمدرس تشكلان حجر عثرة أمام التطور السوسيو- اقتصادي لساكنة العالم القروي وإكراها حقيقيا في وجه التنمية المحلية.

فما هو واقع التعليم بالوسط القروي المغربي، وما مدى مساهمته في التنمية المحلية؟ وسنجيب على هذه الأسئلة وغيرها من خلال دراسة مؤشرات الواقع التعليمي بجماعة سيدي عزوز الواقعة بجهة الغرب الشراردة بني احسن.

(1) المغرب الممكن، تقرير حول "50 سنة من التنمية البشرية بالمغرب وآفاق سنة 2025" مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2006، ص. 105-106.

1. واقع التعليم بجماعة سيدي عزوز

لا زال قطاع التعليم على مستوى جهة الغرب الشراردة بني حسن يشكو من عدة مشاكل على الرغم من المجهودات التي بذلت خلال العقود الأربعة الماضية، لدعم تطويره، إلا أن النتائج المحصل عليها لا زالت دون المستوى المنشود[2].

أما فيما يخص جماعة سيدي عزوز، فإنها تصنف في مستوى متوسط داخل الجهة، بمستوى حضور يتراوح بين 80 و139%[3] إلا أن مستوى التعليم بها لا زال يعرف عدة نواقص؛ خاصة من حيث توزيع المدارس والتجهيزات المدرسية وضعف مستوى تمدرس الفتاة القروية، إضافة إلى إشكالية الهدر المدرسي.

وسنعالج مؤشر التعليم بهذه المنطقة من خلال تحليل المعطيات الرسمية المرتبطة بالتعليم في الجماعة، وكذلك من خلال معطيات البحث الميداني الذي قمنا به بدواريْن من الجماعة هما: دوار اعزيب الشرادي ودوار اولاد حماد.

ارتفاع نسبة الأمية بالجماعة

تتعدد التعاريف المحددة لمفهوم الأمية، نظرا لتعقدها، إلا أنه، في غالب الأحيان، يعتبر الفرد أميا عند عدم قدرته على ممارسة الأعمال التي تتطلب القراءة والكتابة، من أجل تحسين أداء الفئة التي ينتمي إليها وحسن أداء مجتمعه. ويدمج في مصاف الأمية أولئك الذين نسوا أو لا يسيطرون، كما ينبغي على المعرفة الأساسية، إنه نسيان للمعارف المكتسبة —افتراضيا— في المدرسة، والذي ترجع أسبابه إما إلى العود إلى الأمية بفعل المغادرة المبكرة للمدرسة، أي قبل أن تترسخ المكتسبات المعرفية.

وتعد محاربة الأمية إلزاما اجتماعيا للدولة، وتمثل عاملا محددا للرفع من مستوى النسيج الاقتصادي، بواسطة تحسين مستوى الموارد البشرية، لمواكبة تطور الوحدات الإنتاجية، ويضع المغرب لنفسه كهدف محو الأمية شبه التام في أفق 2015[4].

(2) وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية، المفتشية الجهوية لجهة الغرب – الشراردة بني حسن، عناصر تمهيدية، 2008، ص. 46.

(3) وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية، مرجع سبق ذكره، ص. 47.

(4) دليل الامتحانات المهنية جميع التخصصات، إشراف عبد الفتاح ديبون، الطبعة الأولى/2005، مطبعة المتقي برينتر المحمدية، ص. 70.

إلا أنه، وبالرغم من المجهودات المبذولة، لتقليص نسبة الأمية، فإنها لا زالت تشكل عائقا في وجه تحقيق تنمية سوسيو- اقتصادية شاملة، سواء على المستوى المحلي أو الوطني. وبالنسبة لجماعة سيدي عزوز فإنها تعرف ارتفاع معدل الأمية، خاصة في صفوف الإناث.

جدول رقم 01: نسبة الأمية بجماعة سيدي عزوز حسب الجنس

الجنس / السنة	الذكور	الإناث	المجموع
2004	45.5	74.6	59.9

المصدر: الإحصاء العام للسكان والسكنى (2004)

إن معدل الأمية يسجل ارتفاعا ملحوظا مقارنة مع المعدل الجهوي والوطني، مع ارتفاع هذه النسبة داخل صفوف الإناث، 74.6% مقارنة مع الذكور 45.5%، وهو معدل قريب مما هو مسجل بالعالم القروي (74.5).

تساهم هذه الوضعية في تراكم التخلف وتراجع مستويات التنمية بالجماعة، لأن الأمية تحول دون انخراط هذه الشريحة في القيام بمشاريع تنموية، والتي يمكن أن تحسن مستوى عيش السكان، وتثمين الموارد الطبيعية، والتخفيف من درجة الضغط عليها.

وقد تبين من خلال معطيات البحث الميداني، تفشي هذه الظاهرة في صفوف أرباب الحيازات الفلاحية بدواري اعزيب الشرادي وأولاد حماد.

جدول رقم 02: المستوى التعليمي لأرباب الحيازات بدواري اعزيبالشرادي و أولاد حماد

الدوار	المستوى	بدون	مسيد	ابتدائي	إعدادي	ثانوي	تكوين مهني	عالي	المجموع
دوار اعزيب الشرادي	عدد أرباب الحيازات	18	12	12	6	2	0	0	50
	النسبة	36	24	24	12	4	0	0	100
دوار أولاد حماد	عدد أرباب الحيازات	15	14	12	3	4	0	2	50
	النسبة	30	28	24	6	8	0	4	100
النسبة العامة		33	26	24	9	6	0	2	100

المصدر: نتائج البحث الميداني

إن نسبة الأمية، تبقى جد مرتفعة لدى أرباب الحيازات بدواري اعزيب الشرادي وأولاد حماد، حيث أن 59% من هذه العينة، لم تتلقى تكوينا داخل المدرسة. كما أن نسبة 24% من أرباب الحيازات لم تتجاوز مستوى الابتدائي، وغالبيتهم نسوا المكتسبات المعرفية التي تعلموها. أي أننا أمام ظاهرة العود إلى الأمية لتصبح النسبة هي 83% من أرباب الحيازات لا يتوفرون على مستوى تعليم جيد، الشيء الذي يمكن أن يؤثر على أنشطتهم الاقتصادية. ذلك أن الإنتاج الفلاحي اليوم أصبح ينبني على تقنيات ووسائل حديثة، تتطلب اكتساب معارف ومهارات للاستعمالات، مما قد يشكل عائقا أمام تطوير وعصرنة القطاع الفلاحي، ومنه تعطيل مسار التنمية بالمنطقة.

مبيان رقم 01: المستوى التعليمي لأرباب الحيازات بدواري اعزيب الشرادي وأولاد حماد

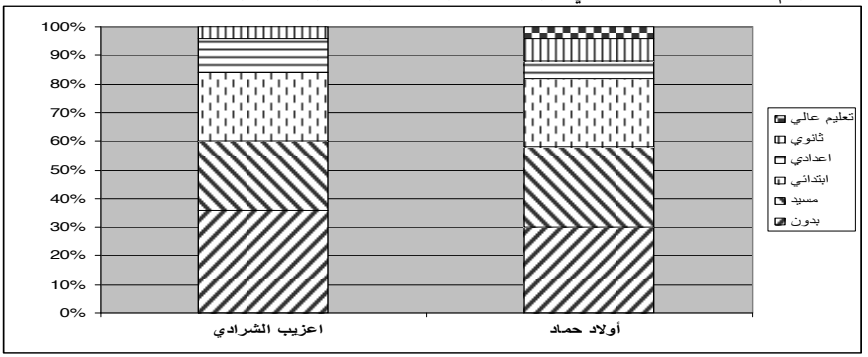

المصدر: نتائج البحث الميداني.

واقع التعليم بالجماعة

إن دراسة واقع التعليم بمجال معين، يتطلب أولا الوقوف على الخريطة المدرسية عبر تحديد وتبيان عدد المجموعات المدرسية وعدد حجرات الدرس، إضافة إلى عدد التلاميذ والموارد البشرية خاصة الأطر التربوية. وهذا ما سيمكننا من استجلاء واقع التعليم بجماعة سيدي عزوز.

جدول رقم 03: الخريطة المدرسية بجماعة سيدي عزوز للموسم الدراسي 2015/2014

المؤسسة	عدد التلاميذ			عدد الحجرات	الأطر التربوية	
	ذكور	إناث	مجموع		ذكور	إناث
م. مدارس البيروني	349	301	650	14	20	2
مدرسة البيروني	180	170	350	6	11	1
مدرسة الشقافة	45	32	80	2	3	-
مدرسة ازهير	56	43	104	3	3	-
مدرسة أولاد بندي	68	54	126	3	3	1
م. م المركز الفلاحي	1059	517	1576	37	36	8
م. المركز الفلاحي	423	228	651	-	10	3
م. المنايرة	243	108	351	-	5	2
م. الحلاحلة	153	71	224	-	7	1
م. البريدية	112	65	177	-	4	-
م.م. مياصة	78	35	113	-	3	-
م. أولاد يعكوب	23	10	33	-	2	1
م. الكامنة	47	20	67	-	3	1
م.م. المحطة	368	178	546	14	14	4
مدرسة المحطة	152	79	231	4	4	3
م. عين الطاهر	117	48	165	3	3	1
م. الزياينة	57	30	87	3	3	0
العمامرة	26	13	39	2	2	-
الحاج الجيلالي	16	08	24	2	2	-
المجموع	1776	996	2772	65	70	14

المصدر: نتائج البحث الميداني.

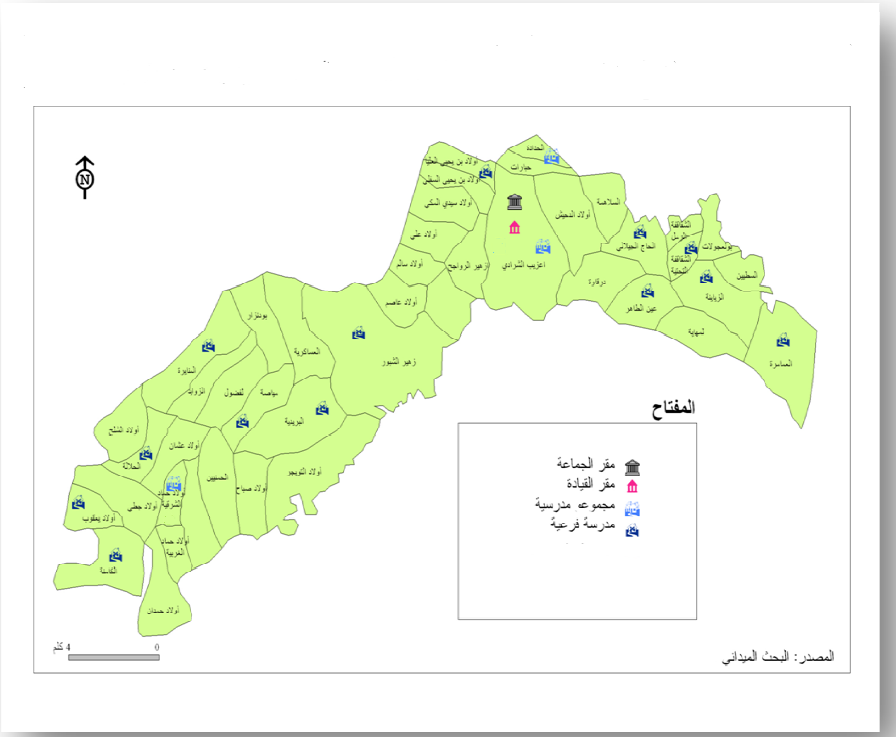

خريطة رقم 01: توزيع المرافق التعليمية بتراب جماعة سيدي عزوز

إن الخريطة المدرسية بالجماعة، تعرف وجود ثلاث مجموعات مدرسية تتكون من 16 مدرسة فرعية تتوزع بشكل جيد فوق تراب الجماعة، ويبلغ عدد التلاميذ بها حوالي 2772 تلميذ منهم 996 فتاة بنسبة 35.9%، وتضم 65 حجرة دراسية. وبالنسبة للموارد البشرية العاملة في هذا القطاع فإنه يوجد 70 معلما و14 معلمة. وهكذا، فإن نسبة التأطير التربوي تصل إلى 33 تلميذ لكل أستاذ، وما يقارب 43 تلميذ لكل حجرة درس.

إن جماعة سيدي عزوز، وبالرغم من توفرها على عدد لا بأس به من المدارس الابتدائية فإنها، تعاني من عدة مشاكل تعيق مسألة التحصيل الدراسي، والمتجلية في ضعف البنيات الأساسية التي من المفروض أن تتوفر عليها المدارس، كالكهرباء والماء الصالح للشرب والمرافق الصحية. وإن تم ربط بعض المدارس بالكهرباء والماء كمدرسة المحطة ومدرسة البيروني، وكذا تزويد الفرعيات بنافورات للماء، فإنها تظل غير كافية. إضافة إلى عدم توفر المدارس على مكتبات وقاعات للإعلاميات، التي أصبحت تشكل عنصرا أساسيا في التحصيل المعرفي في الوقت الراهن.

وتبقى إشكالية الهدر المدرسي أكبر مشكل يعاني منه التعليم بالوسط القروي عموما وبجماعة سيدي عزوز على وجه الخصوص، ذلك أن نسبة مهمة من التلاميذ وخاصة الإناث منهم، لا يستطيعون إتمام مسارهم الدراسي، نظرا لعدم وجود إعداديات وثانويات بالجماعة. الشيء الذي يتطلب من التلاميذ الانتقال إلى مدينة حد كورت أو مشرع بلقصيري، بهدف إتمام تعليمهم. هذا الأمر ترافقه عدة صعوبات من أهمها: توفير السكن، ارتفاع مصاريف الدراسة والتي لا تتماشى والوضع الاقتصادي لمعظم الأسر بالمنطقة، وغالبا ما تكون النتيجة هي الانقطاع عن الدراسة وخاصة بالنسبة للفتاة القروية، التي تعد في نظر المجتمع القروي غير مؤهلة للذهاب إلى المدرسة، ما دام مصيرها هو الزواج وإنجاب الأطفال، وبالتالي يجب أن تهيئ للعمل في البيت وتربية الناشئة، خصوصا وأن المدرسة تروج أفكارا تهدد المجتمع الأبوي السائد بالوسط القروي[5].

(5) الشيكر مبارك، ملاحظات أولية حول واقع التعليم بالوسط القروي بمنطقة الغرب، ورد ضمن "التحولات الاجتماعية المجالية في الأرياف المغربية" منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط (1994)، سلسلة ندوات ومحاضرات، رقم 28، ص. 103.

جدول رقم 04: توزيع عدد الأفراد المتمدرسين حسب مستواهم الدراسي بدواري اعزيب الشرادي وأولاد حماد

المستوى الدراسي / الدوار	ابتدائي		إعدادي		تكوين مهني		ثانوي		عالي		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
دوار اعزيب الشرادي	45	54.2	20	24.3	0	0	10	12	8	9.5	83	100
دوار أولاد حماد	49	57.7	17	20	4	4.7	8	9.4	7	8.2	85	100
المجموع	94	55.9	37	22.1	4	2.7	18	10.8	15	8.9	168	100
مجموع الإناث منهم	40	64.5	10	16.1	1	1.6	8	12.9	3	4.9	62	100
نسبة الإناث حسب كل مستوى	42.5	-	27	-	25	-	44.4	-	20	-	36.9	-

المصدر: نتائج البحث الميداني.

مبيان رقم 02: توزيع عدد الأفراد المتمدرسين حسب مستواهم الدراسي بدواري اعزيبالشرادي و أولاد حماد

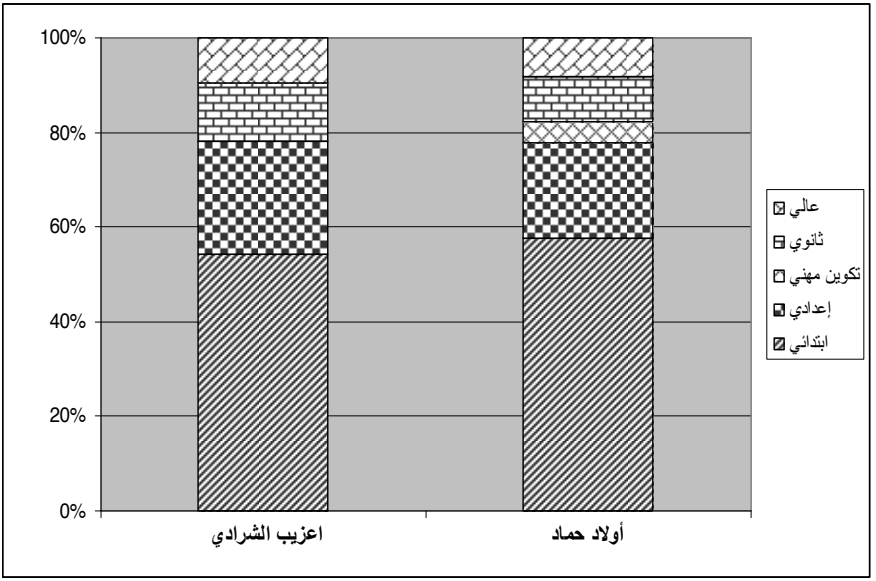

المصدر: نتائج البحث الميداني.

إن نسبة المتمدرسين بدواري اعزيب الشرادي وأولاد حماد، تبرز اختلالات واضحة بين المستويات الدراسية، حيث أنها لم تتجاوز بمستوى الإعدادي نسبة 22.1%، تشكل ضمنهم فئة الإناث 27%. في حين أن نسبة التمدرس بسلك الابتدائي تشكل 55.9 منها 42.5% كنسبة للإناث، وتبرز ظاهرة الهدر المدرسي بقوة في سلك الثانوي والعالي إذ أنها لا تتعدى 10.8% بمستوى الثانوي، ولم تتجاوز نسبة الملتحقين بالتعليم العالي 8.9% فيهم الإناث 20.%.

وتفسر ظاهرة الانقطاع المبكر عن الدراسة بعدة عوامل، منها:

- غياب إعداديات وثانويات بتراب الجماعة، مما يضطر التلاميذ للتوقف عن متابعة دراستهم، بشكل إرادي أو بتدخل من أسرهم، لارتفاع تكاليف التمدرس، وضعف الإمكانيات المادية لمعظم الأسر بجماعة سيدي عزوز.
- نقص في وسائل النقل المدرسي، وضعف الطاقة الاستيعابية للداخليات ودور الطالب والطالبة.
- تدخّل العادات والثقافة المحلية كالزواج المبكر مثلا بشكل كبير في منع الفتاة القروية من متابعة مشوارها الدراسي.

صورة رقم 01: حجرة دراسية بفرعية لبريدية

صورة رقم 02 :مجموعة مدارس المحطة

صورة رقم 03: مجموعة مدارس المركز الفلاحي

صورة رقم 04:سقاية للماء بفرعية لمنايرة

المصدر:البحث الميداني

يقوم التعليم بدور المحرك الرئيسي للتنمية المحلية سواء بالمدن أو البوادي، لكون نجاح استراتيجية التنمية بمجال معين تقتضي بالضرورة وجود مستوى تعليمي جيد يمكّن الفاعلين والساكنة من الانخراط الواعي في مشروع ترابي للتنمية المحلية والذي يبقي نجاحه رهينا بمستوى حاملي المشروع من مؤسسات عمومية والمنظمات غير الحكومية والساكنة المحلية ولربح هذا الرهان الاستراتيجي ينبغي النهوض بواقع التعليم.

إن واقع التعليم بالجماعة القروية سيدي عزوز، وبالرغم من المجهودات المبذولة للرفع من مستواه، لا زال يعاني من عدة مشاكل من أبرز نتائجها تدني نسب التمدرس التي تعد ظاهرة تشهدها معظم الأرياف المغربية. إضافة إلى استفحال ظاهرة الأمية، مما يتطلب تضافر جهود كل الفاعلين من دولة، جماعة محلية، فعاليات المجتمع المدني والساكنة المحلية، بهدف إيجاد حلول سريعة وهادفة كفيلة بتوفير الظروف الملائمة لتعميم التمدرس، والتقليص من ظاهرة الفشل المدرسي. عبر وضع مقررات دراسية ملائمة للوسط القروي، والاهتمام بوضعية رجال التعليم العاملين بالبوادي. ذلك أن رهان التنمية المحلية مرتبط بإعداد أجيال متعلمة قادرة على الانخراط بشكل واع في المسلسل التنموي.

انطلاقا من هذا التشخيص يُقترح العمل على:

- بناء مدارس فرعية بالدواوير البعيدة عن المدارس والفرعيات الموجودة؛
- تزويد المدارس والفرعيات الحالية بالمرافق والتجهيزات اللازمة من مرافق صحية، الماء الصالح للشرب، الكهرباء، مكتبات وقاعات للمعلوميات...؛
- إحداث سكن للأطر التربوية بالقرب من المدارس والفرعيات التي يعملون بها؛
- إنشاء إعدادية وثانوية بالجماعة، مع دار للطالب والطالبة لإيواء التلاميذ القادمين من الدواوير البعيدة؛
- دعم النقل المدرسي العمومي، وتعميمه كذلك على تلاميذ المستوى الابتدائي، مع مد الطرق إلى المدارس والفرعيات المعزولة؛
- دفع الآباء، إلى تشجيع أبنائهم وخاصة الفتيات، على التمدرس عبر حملات تحسيسية للتقليل من نسبة الهدر المدرسي.

خلاصة

تشكل التنمية المحلية بالوسط القروي المغربي، تحديا حقيقيا في وجه مختلف الفاعلين المتدخلين في المجال، وعليه يبقي التعليم رهانا استراتيجيا لتحقيق أهداف التنمية المنشودة وتحسين الأوضاع الاجتماعية للساكنة القروية. وذلك عبر إيجاد حل للمعضلات المطروحة من خلال تقوية المرافق التعليمية بالوسط القروي وتوفير شروط نجاحه من مواكبة وتتبع لمسارات التكوين، وفق استراتيجية تشاركية تدمج مختلف المتدخلين في المسألة التعليمية في إطار مشروع ترابي موحد.

بعض المراجع المعتمَدة للدراسة

أحمد الغزوي، دراسة ميدانية منجَزة تحت إشراف الاستاذ علي فجال، لنيل شهادة الماستر في الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، سنة 2009، وتم تحين معطيات البحث الميداني عند إعداد هذا المقال سنة 2014.

المغرب الممكن، تقرير حول "50 سنة من التنمية البشرية بالمغرب وآفاق سنة 2025". مطبعة دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 2006.

دليل الامتحانات المهنية جميع التخصصات، إشراف عبد الفتاح دييون، مطبعة المتقي برينتر المحمدية، الطبعة الأولى/2005.

الشيكر مبارك، ملاحظات أولية حول واقع التعليم بالوسط القروي بمنطقة الغرب، ورد ضمن "التحولات الاجتماعية المجالية في الأرياف المغربية" منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط سلسلة ندوات ومحاضراتّ، رقم 28، 1994.

وزارة الإسكان والتعمير والتنمية المجالية، المفتشية الجهوية لجهة الغرب – الشراردة بني حسن، عناصر تمهيدية، 2008.